

الهجرات السامية إلى الشرق الأدنى القديم وتأثيراتها الحضارية

قوعيش شريف، أستاذ وباحث، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1، الجزائر

ملخص:

شكل موضوع الهجرات السامية إلى بلاد الشرق الأدنى القديم اهتماما واسعا لدى الباحثين والمؤرخين وعلماء الآثار لما له أهمية في كتابة تاريخ الساميين وأدوارهم الحضارية، إذ نجد اختلاف في آراء الباحثين حول تحديد الإطار الزمني للهجرات وطرق اتجاهاتها، وهذا نتيجة تأثير الخلفيات التاريخية واتجاهات المدارس والنظريات، فالتأثبات في ذلك أن الهجرات السامية لم تنطلق دفعة واحدة بل في فترات زمنية متتالية الواحدة تلو الأخرى، مما ترك المجال للتأثيرات أن تأخذ مجراها، فقد لوحظت بسمات للعنصر السامي داخل مجتمع شرق الأدنى القديم (مصر، العراق، الشام)، في المجال الاقتصادي، والاجتماعي، والديني، وحتى اللغوي، مما أدى إلى ظهور مزاج جديد في تاريخ الشعوب الشرقية القديمة .

Abstract :

Multi migrations Commissionner to the country of the ancient Near East form a broad interest among researchers and historians and archaeologists because of its importance in the writing of the history of the Supreme and the roles of civilization, as we find a difference in the views of researchers on determining the time frame of migrations and methods of trends, and this is a result of the impact of historical backgrounds and trends of schools and theories, Valthabt In that migrations Semitism did not start at once, but in the time periods in a row one another twist, leaving room for the effects to take its course, it has been observed characteristics of the High element in the ancient Near East society (Egypt, Iraq, Levant), in the economic sphere, and the social, and religious, and even language, which led to the emergence of a new mood in the history of ancient Eastern peoples

Professor and Researcher, Faculty of Humanities and Islamic Studies, University of Oran1, Algeria

مقدمة :

مع بداية الألف الثالثة ق.م ظهرت جماعات بشرية جديدة دخلت منطقة الشرق الأدنى القديم حيث حملت معها ثقافات متعددة غيرت مجرى الحياة اليومية لسكان الساحل السوري، وقد كانت لهذه الجماعات دور كبير في بناء الحضارة وقيام دويلات سياسية جديدة هي كذلك أصبحت سند في تحول الإنسان نحو التحضر، ومن المعروف أن الجهة المحاذية للجنوب الشرقي في الساحل السوري كانت عامرة بالسكان من بدو ورحل وهي قديمة بقدم وجود الإنسان فيها تدعى بشبه الجزيرة العربية⁽¹⁾ منطقة واسعة الأرجاء، صحرائها كبيرة، وإطلالتها عديدة على البر والبحر، وخرج من هذه المنطقة الساميون أبناء نوح عليه السلام منذ 3000 ق.م يهاجرون البادية تباعا⁽²⁾، عبر جماعات منتقلة عند أطراف الصحراء التي كانت دوما تتحين الفرص للنزوح نحو الجنوب والمراكز المتحضرة، قاصدة منطقة الشرق الأدنى القديم هي الأخرى تتمتع بمقومات وإمكانات واسعة ذات قابلية ممكنة⁽³⁾.

- 1- أسباب الهجرات:

إن الحديث عن الأسباب والدوافع التي أدت إلى ظهور الهجرات السامية وخروج أقوام شبه الجزيرة العربية إلى اتجاهات مختلفة، هو نفس الموضوع الذي يتحدث على أن الاتصال الجغرافي والبنية السطحية لصحراء الجزيرة كانت سهلة من حيث عدم وجود عوائق ولا حواجز تمنع ذلك، ومن أسباب هذه الهجرات نذكر ما يلي:

أ- الأسباب الطبيعية:

تعتبر الأسباب الطبيعية من أحد الدوافع الرئيسية التي أدت إلى خروج الجماعات البشرية نحو منطقة الشرق الأدنى القديم خاصة فيما يتعلق بالمناخ والبيئة، وما تقدر عليه البراري من استقرارية للإنسان، وكانت أسلاف هذه الموجات يتمتعون في الأصل إلى حضارة عريقة قديمة في الطرف الجنوبي من جزيرة العرب، وكانت بلادهم في تلك الأزمان عامرة بأنهارها الدائمة الجريان وبأمطارها الغزيرة إلا أنها تعرضت إلى تغيرات مناخية وجيومورفولوجية، في نهاية العصر الجليدي في حدود 200.000 ق.م، الأمر الذي أدى إلى احتباس الأمطار واندثار الأنهر، فأخذ الجفاف ينتشر منذ ذلك حين في النطاق الصحراوي الحالي، مما اضطر الإنسان إلى الهجرة باتجاه أماكن ذات موارد طبيعية دائمة، فكان أن توصل هؤلاء السكان إلى شمال شبه الجزيرة العربية⁽⁴⁾، وبدأوا يتوزعون جماعات جماعات، فبدأت تظهر الهجرة الداخلية من الجنوب إلى الشمال، وانطلقت أغلب القبائل البدوية القديمة تتحرك من منطقة إلى أخرى بين حين قصير وآخر، وكانت الدوافع لهذه الهجرات هي نقص موارد الماء، وتغير مناطق الرعي، وتسابق مختلف القبائل والعشائر إلى استغلال هذه الموارد والمناطق والتحكم فيها⁽⁵⁾ فضلاً عن المنازعات والحروب الداخلية واضطرار الجماعات المغلوبة إلى النزوح عن مواطنها إلى حيث يتوفر لها الأمن والاستقرار⁽⁶⁾، وإذا كانت الهجرة الداخلية قد بدأت لفترة زمنية طويلة وبعيدة فلا شك في ذلك سوف تزداد حجم الهجرات وتتحول إلى خارجية بشكل واسع، وبينما عامل الجفاف الذي أصبح له دور بارز في الحركات البشرية، فلم يكن منتشرًا بمنطقة الجزيرة فقط بل في كل أرجاء التي تجاورها بما في ذلك مصر، والمناطق التي تقع على حواف المحيط.

وحسب ما تطرقت إليه الأبحاث الحديثة حول مفهوم الهجرة الخارجية وأسبابها الحقيقية في منطقة شبه الجزيرة العربية، فالمنطلق كذلك ينطبق على أهل اليمن⁽⁷⁾، الذين أخذوا حيز كبير في شبه الجزيرة العربية وكما كان لها دور عريق في التاريخ الإنسانية، وبالتالي لا نستطيع الفصل بين هاتين المنطقتين، ويقول عدد من المؤرخين أن شبه الجزيرة العربية بما فيها اليمن كانت في الماضي أكثر خصوبة، وأمطاراً مما هي عليه الآن، من ذلك رأي بعض العلماء أن المنطقة كانت في عصر البلايستوسين خصبة جداً وكثيرة الآبار والأمطار، إلا أن تغيراً طرأ عليها فأذاب الثلج، وازداد الجفاف وحول الأرض الرطبة إلى أرض يابسة وصحاري ورمال لا تصلح للإنبات ولا للحياة⁽⁸⁾، فبدأت المظاهر جد مقلقة للسكان، وهنا أصبحت الظروف المناخية والجغرافية تحتم على الإنسان أن يهجر بلده بحثاً عن المناطق ذات وفرة غذائية.

وعن تاريخ الهجرة الأولى مع تغيرات المناخية فيذكر الباحث "محمد يحي حداد" أنها كانت مع بداية 4000 ق.م، وأما "حرب حسن" أعطى تواريخ متشابهة، حيث يقول "أن أول هجرة عرفها التاريخ العربي عام 4000 ق.م، وثاني هجرة عام 3600 ق.م، وبلغت الهجرات ذروتها ما بين 2500 ق.م و1500 ق.م⁽⁹⁾، والتدرج في هذه التواريخ كان له أثر في تطور عامل الهجرة عند الشعوب السامية والحامية.

وتبقى العوامل الطبيعية هي السبب وراء ظهور تلك الهجرات نحو منطقة الشرق الأدنى القديم بالرغم أن هذا الموضوع ما زال محل تضارب آراء المختصين والباحثين، ويبدو أن السبب في ذلك راجع لنقص المصادر الأثرية المادية الدالة على ذلك. وقد ترك الجفاف آثار بارزة على سطح الأرض، كما أثر على سطحها وعلى أحيائها، واستمرت هذه الظاهرة الطبيعية حتى حوّلت طبيعة المنطقة إلى أراضي غلبت عليها الطبيعة الصحراوية وقلّت فيها الرطوبة، وهبط مستوى الماء تدريجياً، وظهرت الأملاح في الآبار، فتركت الأقوام هذه الأماكن قاصدة البحث عن العيش المستمر حتى ولو تطلب بذل جهود لا تحصى في البيئة⁽¹⁰⁾ هذه الأخيرة التي أصبحت تحمل كل أشكال ومظاهر الصراع نحو مستقبل أفضل.

وفي فترة الجفاف لم يهاجر الإنسان فقط، فتبعته الحيوانات الضخمة أمام ذبول النباتات الكبيرة، ويرى العالم الإيطالي "كيتاني" أن فترة الجفاف كانت دورية على شبه جزيرة العربية⁽¹¹⁾ بما في ذلك المناطق المجاورة، وكما أن الجفاف كان أشد وأسرع في القسم الشرقي الذي يشمل الأرض التي تأخذ في الانحدار والميل نحو الشمال والشرق وتمتد إلى نهر الفرات والخليج العربي منه في القسم الغربي، ولذلك بدأت الهجرات من هذه المناطق قبل المناطق الغربية، وظهرت فيها البداوة بصورة أوضح⁽¹²⁾، وباستطاعة البشر أن يوفروا لأنفسهم متطلبات الحياة والتوجه نحو الإنتاج الحضاري.

كما لعبت الأحوال الجوية والمناخية دوراً أساسياً في تحريك موجات الهجرة⁽¹³⁾، بما في ذلك الآثار التي ظهرت على مستوى سطح الأرض داعية نحو التغيير وانطلاق إلى بداية جديدة ترقى إلى المستوى الحضاري المادي، وكما فرضت العوامل الطبيعية ضوابط محاور الهجرات السكانية من شبه جزيرة العربية، وخطوط سيرها، وتمثلت في طرق القوافل التي ربطت الجزيرة بالأقاليم المجاورة وكذلك الطرق البحرية ربطتها بالأقاليم البعيدة⁽¹⁴⁾.

وقد بينت لنا الظروف الجغرافية التي أدت إلى الهجرة وهي البعد من المحيط الهندي ووجود حواجز طبيعية جبلية متصلة ببعضها البعض، تمتد من بلاد الشام إلى اليمن، وتعرف جبال "السراة" وهي سلاسل جبلية موازية للبحر الأحمر، ومن الجنوب تحتضنها سلاسل جبلية أخرى تمتد من اليمن غرباً حتى عمان شرقاً⁽¹⁵⁾، ولهذا أصبحت الهجرة حتمية على شعوب الجزيرة العربية، بعد ظهور عصر الفتحل عند العرب والذي يتزامن أوروبا مع العصر "فارم"⁽¹⁶⁾ «WVRM»⁽¹⁷⁾.

وخير دليل على هذه الموجات البشرية يقول "بورزاني" أن منطقة وادي "رم" كانت غنية بالمياه والأشجار بالعصور القديمة، وأنها شهدت نشاطاً بشرياً ملحوظاً، وقد ترعرع فيها المنازعون خلال الفترة ما بين 6000 ق.م-3000 ق.م، لكنها بدأت تجف، وبدأت الرحلات تظهر، وقد تم الكشف عن أقدم خارطة جغرافية حجرية في التاريخ تدل على ذلك⁽¹⁸⁾ مما يدل أن عامل الجفاف كان قد مس مناطق كبيرة في شبه الجزيرة العربية.

- ب- الأسباب الاقتصادية:

تعتبر العوامل الاقتصادية من أهم الأسباب الرئيسية وراء الهجرات البشرية القديمة المنطلقة من شبه الجزيرة العربية إلى منطقة الشام "الهلال الخصيب"، حيث يمثل الاقتصاد العصب الحيوي وراء تحريك الإنسان فوق الأرض للعمل والمسايرة على النشاط الزراعي والصناعي والتجاري، وهذه الأنشطة لا بد من حضور شروط ممكنة للقيام بها وهي البحث عن الموارد الطبيعية⁽¹⁹⁾، التي نفذت بالجزيرة ولعلها تنتزع بمناطق أخرى مثل الشرق

الأدنى القديم بصحرائه، وأنهاره، وبحاره، خاصة بعد انتشار الطابع الصحراوي الذي لا يكفي إنتاجه من الغلال إلا للأعداد محدودة من السكان، بقدر معلوم، حتى أن هذه الإمكانيات ولو كانت قليلة على مستهلكيها فهي مؤقتة غير دائمة تتماشى والحجم كمية الأمطار التي تناقصت بشكل كبير أمام الجفاف المجفف⁽²⁰⁾.

والبدو بطبيعتهم يحبون الترحال لبحث عن الكلاً والمراعي، وهم ليسوا بغرباء عن مواطن الحضارة المستقرة التي تحفهم، بل يرتادونها من حين إلى آخر للاستبدال منتوجات قطعانهم بما يحتاجونه من أسلحة وملابس⁽²¹⁾.

لقد لعبت التجارة دورا بارزا في تأسيس طرق اتصال بين الشعوب القديمة، خاصة وأن شبه الجزيرة العربية وبحكم موقعها الاستراتيجي، وثرواتها الطبيعية تمكنت من السيطرة على جزء هام من التجارة⁽²²⁾، وكان على الإنسان القديم أن يوفر لنفسه ملجأ من الحصول على المواد الغذائية، والمعيشية، وهو الأمر الذي جعله يخرج من منطقتة نحو المناطق الأخرى، وكذلك لمحاولة الحصول على السلع والبضائع مهما كان حجمها أو قيمتها ونقل التجارة والتبادل في السلم⁽²³⁾، هذا مما أدى إلى وضع طريق يصل بين المناطق التي تتفرع منها التجارة، ففي جنوب غرب شبه الجزيرة العربية أو منطقة "نجران"، ومنطقة "وادي الدواسر" وجدت أدوات حجرية يعتقد أنها تنتمي إلى فترة سابقة للعصر الأشولي⁽²⁴⁾ وأنها تشير إلى الاتصال بين شبه الجزيرة العربية والشاطئ الشرقي لإفريقيا⁽²⁵⁾ مما يدل على وجود علاقات تجارية بين المنطقتين.

كما نجد قيمة البضاعة أو السلعة من الضروريات المجتمعات القديمة سواء في المجال الداخلي أو الخارجي لشبه الجزيرة العربية، فأينما نفذت البضاعة في مكان ووجدت في مكان آخر رحل إليها الإنسان وعمد في استغلالها، لأن إذا افترضنا أن المناطق القديمة التي كانت على ضفاف الأنهار وهي التي أصبحت ملجأ للاستقرار، فحتما أن منطقة الشرق الأدنى القديم هي المنطقة المقصودة للاستقرار فيها واستزاق من ثرواتها الطبيعية. وتوجد أسباب سياسية وبشرية أخرى دفعت بسكان شبه الجزيرة العربية للنزوح نحو بلاد الشام بما فيها من نزاعات قبلية وغزو في الفائض السكاني.

2- طرق اتجاهاتها:

لقد نتج عن الهجرات البشرية من شبه الجزيرة العربية طرق عديدة منها ما هو بري وبحري، وهذا حسب الأهداف ومتطلبات العيش بالرغم من أن السبب واحد، وقد اتفق معظم الباحثين وعلماء الآثار أن صفة هذه الهجرات كانت أكثرها سامية مع وجود العنصر الحامي، وبها تعددت الآراء والأفكار وكل نظرية تجزم بوجود الأصل السامي في منطقة من مناطق العالم القديم (المحصورة بين آسيا وإفريقيا)، ومن بين هذه النظريات نجد النظرية الأولى كان من روادها "جون بترس" تقول أن أرض أرمينيا وهضاب آسيا الوسطى قرب جبال أرارات كانت هي المهد الأول للساميين، أما النظرية الثانية وتقول أن بلاد الرافدين هي أولى وجود الساميين لأنها أقدم أرض عمرها نوح عليه السلام، وأما النظرية الثالثة فهي تذكر جزر البحر الأبيض المتوسط، والنظرية الرابعة تركز على أرض إفريقيا شمالا و شرقا، أما النظرية الخامسة والأخيرة تقول أن جزيرة العرب هي التي مهدت للوجود الساميين الأوائل، ولقد دافع على هذه النظرية الأخيرة الألماني "سيرنجرو"، والإيطالي "كيتاني"⁽²⁶⁾، وكل هذه النظريات ربما ارتكزت على ملامح أثرية وأخبار الرحالة

وكتاب الكلاسيكيين ، لكن المتمعن لاتجاهات هذه المدارس يلاحظ أن تقريبا كل المناطق التي ذكرت، قد وجد فيها العنصر السامي.

أما بداية الوجود لهذا العنصر فالمرجح هي منطقة شبه الجزيرة العربية باعتبارها مهد ومهبط نوح عليه السلام وحتى آدم عليه السلام، وهذا ما اتفقت عليه كافة الدراسات التاريخية⁽²⁷⁾ من جهة ومن جهة أخرى إذا حللنا طبيعة وجود العنصر البشري وأين يوجد بكثرة نجد منطقة شبه الجزيرة العربية هي التي كانت أهلة بالسكان قبل غيرها من المناطق في العالم، باعتبارها خزان بشري هائل اتفق حوله العلماء أنه الموطن الأصلي للعناصر السامية والأمر الذي جعل من شبه الجزيرة العربية أحد أهم مراكز الهجرة العالمية وأقدمها في منطقة غرب آسيا⁽²⁸⁾، كذلك الطبيعة الجغرافية للجزيرة دليل آخر على استقطاب الكبير للبشر، ومن المعروف أن الساميين كانوا كثيرون وبفروع متعددة .

وما أجمع عليه المؤرخون في أصل الساميين وعلاقتهم بالعرب، كان له أثر قوي في الكتابات التاريخية الحديثة خلال القرن 20م و21م، أين يتم التوسيع من دائرة المعارف الأثرية والاجتماعية القديمة، وتعددت المعلومات في هذا الشأن خاصة على المستوى الأصول والفروع الشعوب القديمة رغم وجود الاختلافات العلمية.

وخروج الجماعات البشرية كان محل الاختلاف في تحديد الإطار الزمني لها، ذلك لم يؤثر على الكتابة والتدوين التاريخي من طرف المؤرخين، فالاعتقاد كانت الهجرة الخارجية في الألف الرابعة ق.م، وقد بين علماء الآثار أن الهجرات من شبه الجزيرة العربية لم تقتصر على سوريا وفلسطين والعراق، بل تعدتها إلى مصر حيث يعتقد أن جماعات المهاجرة عبر طريق السويس شمالا أو عن طريق جنوب الجزيرة، عبر مضيق باب المندب⁽²⁹⁾، بما فيه المناطق المجاورة، وكانت أغلب الطرق الهجرة برية فهي سهلة وقد ربطت مصر بالشرق العربي منذ أقدم العصور، ففي الشمال الشرقي من مصر وجد طريق بوادي الطحيلات الشهير، وطريق وادي الحمامات (طريق تجاري يربط نهر النيل بالبحر الأحمر)، ومن ثم المناطق الأخرى⁽³⁰⁾.

وحسب الدراسات الأثرية من بينها دراسة "بارتون" تؤكد أن الوجهة الأولى للساميين كانت بلاد مصر الذي اختلط فيها العنصر الحامي، فيكون بذلك الشعب المصري القديم أنه خليط لغوي بين الجنسيتين⁽³¹⁾، ويصف "فيليب حتي" الهجرات السامية تباعا الواحدة تلو أخرى، ففي سنة 3500 ق.م كانت هجرة سامية إلى بلاد ما بين النهرين حملت العنصر الأكادي⁽³²⁾، والبابلي⁽³³⁾، هذه العناصر اعتبرها الأولى في زمن الهجرة وهنا نجد اختلاف مع الباحث "توفيق برو" الذي يرى أن أولى الهجرات السامية كانت محطتها هي منطقة وادي النيل وليس وادي الفرات⁽³⁴⁾.

وظهرت بعد الأكاديين، وبالتقريب في سنة 2500 ق.م، هجرة سامية أخرى حملت الأموريين⁽³⁵⁾ إلى سوريا الشمالية والكنعانيين⁽³⁶⁾ إلى السواحل اللبنانية والسورية (الساحل - الفينيقي)⁽³⁷⁾، وكما نجد قبائل العموريين وهم أنفسهم الأموريين الذي يرى فيهم "جون كلود" أنهم لعدة قرون قد سببوا القلق الدائم لمسؤولي المدن الذي كان يتوجب عليهم بشكل مستمر الصراع والمقاومة أو التحالف أو التفاوض مع العدو، وتبين بناءهم السياسي لا يقاوم على الحوض الهيدرولوجرافي فقط، بل أيضا على أطراف الجبال، وكانوا أعداد السكان القاطنين في الوديان والسهول الذين يكسبون رزقهم عن طريق استثمار أراضيهم وعن طريق

التبادلات التجارية⁽³⁸⁾، وبما هذا الوصف ينطبق على بعض المجتمعات التي كان همها الوحيد هو ضمان قوت عيشتهم ويجرون وراء الكسب الأمن والاستقرار.

وظهرت بين سنة 1500 ق.م و1200 ق.م هجرة ثالثة حملت عناصر الأراميين⁽³⁹⁾ والعبرانيين⁽⁴⁰⁾ إلى سوريا المجوفة (الكبرى) وفلسطين⁽⁴¹⁾.

وكانت هذه الهجرات تارة تكون متعاقبة ومتتالية، وتارة أخرى متقطعة، لكن الجامع في ذلك أن الهجرة القديمة سواء كانت سامية أو حامية لم تظهر دفعة واحدة، الأمر الذي يجزم على ذلك بغض النظر عن تعدد النظريات والمدارس، فالعوامل التاريخية هي التي تتحكم فيها أو حتى الظروف الداخلية المعيشية بين أقوام شبه الجزيرة العربية، وإن التفاعل الذي حدث بين السكان الأصليين المحليين والمجتمعات الوافدة كان قوي ومتجذر في كافة المجالات منها الاقتصادية، والاجتماعية، والدينية، وحتى السياسية منها، هذا جعل مفهوم التأثير والتأثر يأخذ مجراه في منطقة الشرق الأدنى القديم.

-3- تأثيراتها الحضارية:

وعن مظاهر العلاقات بين الشعوب القديمة خاصة بين شبه الجزيرة العربية ومنطقة الشرق الأدنى القديم كانت قد أخذت نصيباً أكبر من عملية التأثير، حيث يصف المؤرخ "ل-كينغ" أن الساميين نزحوا من الجزيرة غرباً إلى مصر منذ العهود القديمة جداً وأن العصر الحديدي بدأ في مصر بدخول هؤلاء الساميين إليها، أي أن المصريين قبل دخول الساميين لم يكونوا يعرفوا الآلات الحديدية، كما حملت هذه الشعوب معها الحدادة نقلاً عن الحضارة السومرية⁽⁴²⁾ في وادي الفرات المجاورة لهم⁽⁴³⁾، ولهذا يبدو أن العلاقات كانت مبكرة أكثر ما هو متوقع زمنياً.

أدخلت العناصر السامية كذلك معها صناعات المعادن وخاصة النحاسية منها، وأتت بالديانات الوثنية⁽⁴⁴⁾ العربية وبنفونها ونظمها الاجتماعية، والسياسية، كما أن هؤلاء العرب الساميين نشروا في مصر لغتهم، كما ظهر في بعض النقوش المصرية القديمة⁽⁴⁵⁾، حيث نجد المصريين يطلقون أسماء عامة على سكان المناطق الواقعة في الشرق من مصر، ومن شمالها الشرقي مثل: عامر، شاسو، منيتو، أبونتو، وغيرها، وأكثر شيوعها هي لفظة "عامو" لإقترابها من سكان الصحراء الشرقية وسيناء وسوريا وفلسطين، وشمال الجزيرة العربية، وكذلك عبارة (تا- نثر) بمعنى أرض الإله وأيضاً كلمة "بونت"⁽⁴⁶⁾، وكل هذه الأسماء كانت تعبر عن دلالة قومية بوجود علاقات حضارية بارزة، وقد وجدت في النقوش المصرية ب(بني حسن) لوحة ملونة لأسرة سامية عربية يرجح أنها من فلسطين أو من شبه الجزيرة العربية خلال رحلة هجرتها إلى وادي النيل⁽⁴⁷⁾.

ويذكر الباحث "رشيد الناضوري" في مجال التأثيرات الدينية انه لوحظ في منطقة الشرق الأدنى القديم تواجد بعض المظاهر الدينية الخاصة بالعالم الآخر كظاهرة الدفن الجماعي، إضافة إلى تواجد بعض الكتل الحجرية⁽⁴⁸⁾ (Dolmen) والتي تمثل مظهر أولياً للأماكن المقدسة، ووجدت المقابر المسماة بالمقابر الخنجرية لاحتفاظ أصحابها بخناجرهم بجوار موتاهم، وكذلك المقابر الفخارية وبعضها جماعية، ووجود أجساد الموتى مفككة⁽⁴⁹⁾،

إضافة إلى تعدد الآلهة ، حتى أنه ذهب بعض المؤرخين أمثالهم "كينغ" أن أقدم معبودات المصريين "فتاح" كان سامي الأصل⁽⁵⁰⁾، هذا فضلا عن تأثيرات أخرى في مجالات متعددة مثل تقنيات الزراعة والصناعة، والتجارة، وإدخال حيوانات جديدة كالحصان والجمال، وتأسيس المدن فقد ظهرت الكتابات الأثرية في النصف الأول من الألف الثانية ق.م مدن يعتقد أنها كنعانية مثل عكو، وصور وجبيل وصيدا، وسيمير⁽⁵¹⁾.

وخلافا على ما يعتقد الباحثون بأن التأثيرات كانت لها صيغة دينية أكثر ما هو اقتصادي أو اجتماعي، فقد ظهرت عناصر بشرية جديدة غلب عليها الطابع السامي، حتى نجد كلمة "الساميون" أصبحت تغطي في الكتابات التاريخية، بشكل كبير لاسيما وجدت مدارس ونظريات في هذا الشأن مثل المدرسة التي تزعمها "ولفنسون" في كتابه تاريخ اللغات السامية وهذا إن دل على شيء وإنما يدل على الدور الذي لعبته العناصر السامية وما حملته من أفكار وثقافات (دينية، اجتماعية، واقتصادية) كانت في غاية الأهمية لدى شعوب منطقة الشرق الأدنى القديم.

وفي المجال اللغوي لا ريب في ذلك كان هناك تأثير كبير لأقوام السامية خاصة على مستوى التصنيف الكلمات وعدد الحروف وما يقابلها من لهجات مختلفة، فقد ذكر "الكسندر موري" أنه كان هناك وحده لغوية بين الشعوب السامية العربية وتزواج قوي بين معاني هذه اللغة على مدى الأزمنة، ولم يكن هناك فرق كبير بين اللهجات المحلية واللهجة السامية وهي مقسمة إلى مجموعتين:

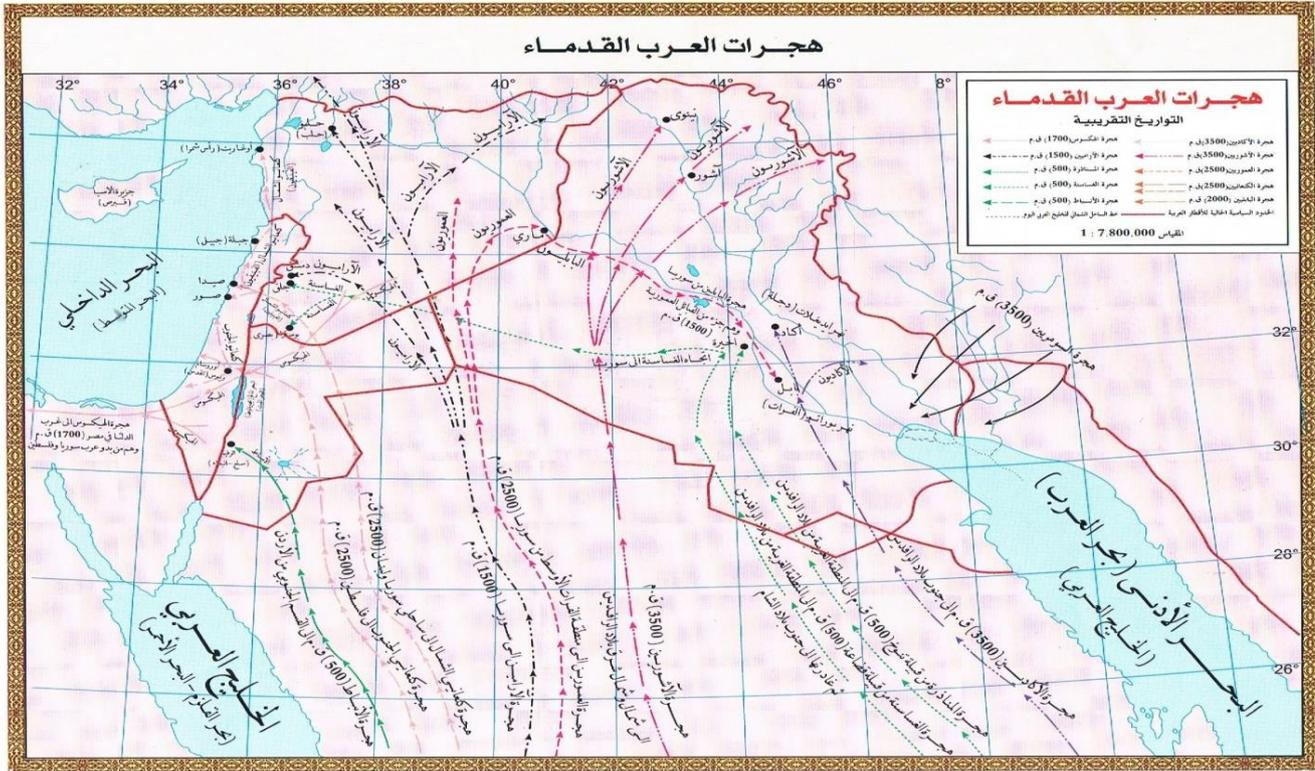
1- المجموعة الأولى تقع في الجهة الغربية وتضم جزيرة العرب وجنوبا بلاد أثيوبيا(الحبشة قديما) وكذلك الكنعانيين والعبريين والآراميين.

2- المجموعة الثانية وتقع في الجهة الشرقية وتضم الأكاديين والآشوريين بما في ذلك جزيرة الفرات⁽⁵¹⁾.

الخاتمة:

تبين من هذا البحث ظهور موجة بشرية ذات أصول سامية من شبه الجزيرة العربية إلى منطقة الشرق الأدنى القديم لأسباب طبيعية واقتصادية، متخذة طرق متعددة، حيث حملت معها تأثيرات حضارية جديدة في المجال الاقتصادي والديني والمتمثلة في تقنيات الزراعة والصناعة وأساليب التجارة وظهر نماذج جديدة في المعبودات والمعتقد، كما ظهرت خارطة جيوسياسية جديدة في منطقة الشرق الأدنى القديم، وعلى أساسها برزت عدة دول وإمبراطوريات كبرى كدولة البابليين والأكاديين والآشوريين، وما ميز هذه الخارطة ظهور صراعات بين الدول من أجل التوسع الجغرافي والأطماع السياسية الاقتصادية .

الملاحق:



سيف الدين الكاتب، أطلس التاريخ القديم، ط3، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، 2009، ص5

الهوامش:

- (1) تقع جزيرة العرب في الركن الجنوبي الغربي من قارة آسيا، وتعد أكبر شبه جزيرة في العالم، إذ يبلغ متوسط عرضها 700 ميل، وأقصى طول لها 1200 ميل، وبهذا نجد مساحتها الكلية تبلغ 86500 ميل²، وتحيط بها المياه من جهات الثلاث هي البحر الأحمر من الغرب، والخليج العربي وخليج عمان من الشرق، وبحر العرب من الجنوب، وفيما يخص اسم الذي أطلق على الجزيرة اسم العرب، لقد اختلف العلماء على تحديد أصل هذا الاسم، فقد وجد نقش من عهد الملك الآشوري شلمنصر "3" (859 ق.م-824 ق.م) وقد ورد في هذا النقش اسم شيخ عربي اسمه "جندب أوجندبو" ويمكن قراءتها بجندب العربي، كما يمكننا قراءة اسم "شلمنصر" بالعربية (سلم نصر) أو سالم أو سليم أو شلم، وتذكر مراجع أخرى أن العرب ذات أصلين، العرب البائدة (عادة الأولى وثمود والعمالقة وطسم وجديس، وأميم وجرهم الأولى وحضرموت)، العرب العاربة قحطان بن عامر هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام، للمزيد ينظر: كفاي زيدان عبد الكافي، أصل الحضارات الأولى، دار القوافل للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 2005، ص72.
- وينظر: الظفيري أحمد بن محارب، العرب "أمة قائمة منذ 7 آلاف عام"، مجلة الدراسات عالم اليوم"، مستودع القيم والشيم ومهد الحضارة الإنسانية، العدد 1423، 2011، ص25، و ينظر: آل ناصر علي شداد، الذخيرة أنساب قبائل الجزيرة، طبعة مزيدة ومنقحة، ب ط، 2012، ص15.
- (2) جيمس هنري بريستيد، العصور القديمة، ترجمة: داود قربان، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، لبنان، 1983، ص116.
- (3) أمهز محمود : في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2009، ص126.
- (4) الذنون عبد الحكيم، بدايات الحضارة، ط1، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، 1993، ص27.

- (5) سيف الدين الكاتب، المرجع السابق، ص18
- (6) المرجع نفسه، ص19.
- (7) اليمن: يذكر المؤرخون أن اليمن يكاد يشمل جنوب شبه الجزيرة العربية، تلك المنطقة الواسعة التي عرفت لدى الكتاب القدامى باسم العربية الجنوبية أو العربية السعيدة، وقد ورد اسم اليمن في نصوص سبأ القديمة باسم "يمناات ويمنت"، والبيدهي أنه اشتق من اسم اليمن الخضراء وعرفت عند اليونان ببلاد العرب السعيدة (ARABIC FELIX)، أما الإخباريين العرب سموها باليمن ليمنها واليمن والكعبة، للمزيد ينظر: رحمانى بلقاسم، حضارة العرب القديمة "الحضارة اليمنية نموذجاً"، الكتاب الأول، مطبعة بغيجة، قسنطينة، الجزائر، 2009، ص61.
- (8) نفسه، ص210.
- (9) نفسه، ص211.
- (10) نفسه، ص212-213.
- (11) الخطيب محمد، الحضارة الفينيقية، ط2، دار علاء الدين للنشر، دمشق، سوريا، 2007، ص9.
- (12) غلاب محمد السيد، يسرى الجوهري، الجغرافية التاريخية "عصر ما قبل التاريخ و فجره"، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، مصر، 1997، ص361.
- (13) حافظ صلاح الدين، صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1982، ص15.
- (14) أبو عيانة محمد فهمي، دراسات في جغرافية شبه جزيرة العرب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994، ص6.
- (15) خطيب العفراء، بعض النماذج من العلاقات والتفاعلات بين شبه الجزيرة العربية والصحراء الكبرى وشمال إفريقيا خلال العصور القديمة، ندوة الدراسات في آثار الوطن العربي، منشورات جمعية الأثريين العرب، ج4، القاهرة، 2004، ص374.
- (16) WVRM: هو إحدى العصور الجليدية بأوروبا (منطقة الألب) ويعتبر آخر مرحلة من نظام الجليديات الأربعة (جينز، مندل، رس، فارم)، وتتزامن مع مرحلة المد البحري العالمي بالبحر المتوسط (Tyrrhénien) للمزيد ينظر: محسن سلطان (1995)، المرجع السابق، ص26، كما تتزامن مع فترة السلطاني بالمغرب، وتتزامن مع الساورى بالصحراء بالبالايستوسين الأعلى، للمزيد ينظر، سحنوني محمد، ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص28.
- (17) الظفيري أحمد بن محارب، الجزيرة العربية مستودع القيم والشيم ومهد الحضارة الإنسانية، مجلة الدراسات العالم اليوم، العدد 1493، 2011، ص12.
- (18) الغول علي فايز، الجذور التاريخية والمعمارية التي أثرت على التشكيل الفني للحروف العربية منذ نشأتها حتى الآن، منشورات عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، عمان، 2005، ص25.
- (19) الذنون عبد الحكيم، المرجع السابق، ص27.
- (20) أمهز محمود، المرجع السابق، ص127.
- (21) الخطيب محمد، المرجع السابق، ص8.
- (22) خطيب العفراء، المرجع السابق، ص375.
- (23) الخطيب محمد، المرجع السابق، ص9.
- (24) الأشولي، ويعرف بالثقافة الأشولية (culture Achaulien) نسبة إلى سانت أشول (Saint Acheule) بفرنسا والتي عثر فيها لأول مرة على أدوات حجرية جديدة، والتي تمثل الدور الثاني للعصر الحجري القديم الأسفل، ومن مظاهره ظهور أسلوب جديد لتشكيل أدوات حجرية، وتطورها من شكل المثلث إلى أن أصبحت بيضاوية (Biface) ذات الوجهين، ثم تطورت وأصبحت على شكل القلب (cordiform) وازدادت تطورا وسارت مستديرة الشكل (circulaire)، ويتم تقسيم الحضارة الأشولية إلى ثلاثة أقسام: الأشولي المبكر (ظهرت فيه الفؤوس ذات أشكال البيضاوية، والأشولي الأوسط (أشكال ثلاثية الرؤوس و السكاكين ذات النصلين)، والأشولي المتأخر (تظهر فيه الفؤوس اليدوية الصغيرة)، للمزيد ينظر: الخنعمي سفر سعد محمد، منطقة عسير في عصور ما قبل التاريخ، دراسة حضارية في ضوء المخلفات الأثرية، مجلة جامعة الملك آل سعود، العدد 21، السياحة والآثار (2)، الرياض، السعودية، 2009، ص125.
- (25) الخطيب عفراء، المرجع السابق، ص376.
- (26) بروتوفيق، تاريخ العرب القديم، ط2، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1996، ص41-42.

(27) - مثل هذه الدراسات التاريخية نجد الدكتور جواد علي في كتابه المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، والمكون من "عشرة" أجزاء وهي دراسة واسعة في المجال التاريخي، وأفرد الجزء (1) منه عن الساميين و أحوالهم و فروعهم و هجراتهم وأهم التغييرات التي طرأت عليهم .

(28) - الخطيب عفرأء، المرجع السابق، ص374.

(29) - حافظ صلاح الدين، المرجع السابق، ص14.

(30) - الغول علي فايز، المرجع السابق، ص26.

(31) - برو توفيق، المرجع السابق، ص46.

(32) - الأكاديون: شعوب سامية من منطقة الجزيرة العربية، ينسبون إلى أكد وأكاد من كلمة أكادو « AKADU » (أغادية) « Agadé »، وقد ورد اسم الأكاديين في النصوص السومرية بالألف الثالث ق.م في شروباك قارة وهي مواطن أرت نابشتم "في بلدة أور"، وأخيراً ذكرت في نصوص أبو صلابيخ المشابهة لنصوص "قارة" والمعاصرة لنصوص (إيبلا في سوريا، حيث أسس الأكاديون إمبراطورية واسعة كان أول حكامها شروكين "سرجون أكاد" حوالي 2334 ق.م-2279 ق.م للمزيد ينظر: فرزات محمد حرب، مرعي عبد، دول وحضارات في الشرق العربي القديم، ط2، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1994، ص57-68.

(33) - البابليون: سمووا بهذا الاسم إما بلبله الألسنة، كما ورد في سفر التكوين من أن بني نوح عليه السلام لما ارتحلوا من المشرق وتركوا بالمنطقة، بنوا برج يبلغ السماء فبلبل الله تعالى ألسنتهم حتى صار بعضهم لا يفهم البعض الآخر ولذلك توقفوا عن البناء، وبابل كلمة عبرانية معناها اللبللة، وبعض الروايات تقول أن الأقدميين بنوا هيكلًا ليجلسون فيه ولقضاء دعاويهم وفض خصوماتهم فسميت المدينة ببابل وأصلها على هذا باب إيل أي باب الإله، وقيل أصل اللفظة باب إيلو وهو إله القدماء الساميين للمزيد ينظر: نخلة المدور جميل أفندي، تاريخ بابل وأشور، صححه (إبراهيم اليازجي)، طبع بيروت، 1879، ص8، وينظر: طه ياقر، بابل وبورسبا، ط1، مطبعة الحكومة العراقية، مديرية الآثار العامة، بغداد، العراق، 1959، ص2 وقد سميت بابل بـ Bâbhel-Bâbili-Babilu، وعند السومريين باسم كاديكيراكي: Kadingirraكي، للمزيد ينظر:

Wallis (B. E.A) : Babylonian like and history, Réimprimé, Kessinger, Rublishing, 2003, p61.

وينظر: - سامي ربحانا، شعوب الشرق الأدنى القديم، نوبليس، 2006، ص178

(34) - برو توفيق، المرجع السابق، ص46.

(35) - الأموريين: ويسميه البعض بـ "العموريين" وأول شعب سامي عاش بسوريا ووقدوا إليها من شبه الجزيرة العربية حوالي منتصف الألف الثالثة ق.م (2500 ق.م)، وانتشروا بالشام والعراق وامتدوا حتى غرب الفرات واستقروا عند أواسط النهر، ومع بداية الألف الثانية ق.م أسسوا دويلات صغيرة بسوريا وفلسطين وعلى حدود بلاد ما بين النهرين منها يمخاض وماري، للمزيد ينظر: عبده علي رمضان، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته منذ فجر التاريخ حتى مجيء حملة الإسكندر المقدوني، ج2، (أناضول وبلاد الشام)، ط1، دار النهضة الشرق، القاهرة، 2002، ص69-70، وكذلك ينظر: بشور أمل ميخائيل، المرجع السابق، ص78 وقد كان للأموريين دور كبير في سلالة أور الثالثة العراقية، وحسب المدونات السومارية، فإن لفظ العموريين كان يعرف بـ أموروم « Amurru »، للمزيد ينظر:

Buccellati (G), The Amorites of The UR III period, istituto oriental di-Napoli, Naples, 1966, PP 9-11.

(36) - الكنعانيين (Knaggi) فيما بين القرنين 18 و17 ق.م، وهي تعني في لغتهم الصباغة الأرجوانية، للمزيد ينظر: محمد صغير غانم، المرجع السابق، ص20 وتسمية كنعان وكنعانيين الواردة في التوراة، ليست مصطلحاً توراتياً كما يتصور البعض، بل هي تسمية قائمة قبل تحرير أسفار التوراة، والمصريون استعملوا هنا للفظ باسم "بي كنعان" Kanan" حوالي للألف الثاني في ق.م، للمزيد أنظر: فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، دار علاء الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1993، ص250.

(37) - ربحانا سامي، المرجع السابق، ص179.

(38) - جون كلود مارغرون، المرجع السابق، ص93-94.

(39) - الأراميين: هم قبائل رحل عاشوا بشمال الجزيرة العربية، وهاجروا إلى سوريا في منتصف الألف الثانية ق.م ولقد ظهر اسم "أرام" في المصادر التاريخية منذ القرن 24 ق.م، كما ذكرته الوثائق الآشورية المبكرة بـ 1306 ق.م، حيث أسس الأراميون مدن ودويلات وسط بلاد ما بين النهرين وشمال سوريا وجنوبها منذ القرن 11 ق.م، للمزيد ينظر: عبده علي رمضان، المرجع السابق، ص135، وينظر: هنري عبودي، معجم الحضارات السامية، ط2، بروس برس، طرابلس، 1991، ص18.

(40) - العبرانيين: هم أحد فروع الساميين، نسب اسمهم إلى عابر أحد أجداد إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي أتى بهم إلى فلسطين، إذ سموا بـ "إبرام" العبراني بعد أن عبر الفرات إلى فلسطين، وفي القرنين 15 و14 ق.م ذكرت النقوش في بلاد ما بين النهرين وسوريا وفلسطين ومصر اسم "الخابرو" الذين كانوا نزلاً وجنوداً وعبيد وظن بعضهم أن العبرانيين جزء من "خابرو"، وانتشر الاسم في أرجاء المنطقة، حيث نجد اسمهم مذكور في التوراة في سفر التكوين (4،13)، (17،39)، (15،20)، وسفر الخروج (1،15)، (1،16)، (1،19): ينظر الكتاب المقدس، العهد القديم، نسخة الكترونية، واسم

العبرانيين هو اسم بنو إسرائيل، شاء هذا الاسم في الفترة الممتدة بين النبي إبراهيم عليه السلام والنبي موسى عليه السلام، للمزيد ينظر: مهران محمد بيومي، مصر والشرق الأدنى القديم، "بلاد الشام"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1990، ص 229.

(41)- سامي ریحانا، شعوب الشرق الأدنى القديم، نوبليس، 2006، ص 179

(42)- الحضارة السومرية: هي حضارة شرقية، تنسب إلى شعب السومري الذي هو ليس بسامي ولا هند و أوربي، بل من الشعوب التي ظهرت جنوب بابل مع بداية الألفية الرابعة والثالثة ق.م وهناك اختلافات كبرى حول أصل هذه الشعوب، وقد انتشر السومريين في الدجلة والفرات بشكل كبير، وكان تحولهم هو بداية للصراع في المنطقة، للمزيد ينظر:

Kramer (S .N), Sumerian Mythology (As study of spiritual and literary Achievement in the third millennium) « B.C », forgotten Books, 2007, p 12.

وكذلك سموا بالسومريين نسبة إلى القسم الجنوبي الذي سمي بـ (شومر) أو (سومر)، وبعض الباحثين يذهب أن السومريين قوم أجانب نزحوا على العراق من موضع ما في شرق العراق أو شمال شرقه وذلك في منتصف الألف الرابعة ق.م، وسموا كذلك بالسومريين لأنهم هم الذين أدخلوا الكتابة والخواتم الأسطوانية وحتى النحت وفن العمارة، للمزيد ينظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج 1، "تاريخ العراق القديم"، طر، مطبعة "بغداد"، 1955، ص 89، 90.

(43)- حافظ صلاح الدين، المرجع السابق، ص 14.

(44)- كانت الديانة الوثنية في شبه الجزيرة العربية معظمها من الأصنام لها بيوت مقدسة و يطاف حولها ، و قد أورد المؤرخون أن عدد الأصنام بلغ حوالي مائة إلى ثلاثمائة وستون صنما ، إضافة الى ذلك توجد ديانات اخري كاليهودية و المجوسية و الزنادقة والصائبة ، ومن أهم الآلهة نجد هبل ، مناة ، اللات ، العزى ، ود، ذو الشرى ، ذو الخلص .للمزيد ينظر: نعمة حسن ، موسوعة ميتولوجيا و أساطير الشعوب القديمة و معجم أهم المعبودات القديمة ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، 1994، صص 85-88.

(45)- حافظ صلاح الدين، المرجع السابق، ص 14.

(46)- رحمانى بلقاسم (ج2)، المرجع السابق، ص 39-40.

(47)- حافظ صلاح الدين، المرجع السابق، ص 15.

(48)- الدولمن (Dolmen): وهي منضدة حجرية عبارة عن مقابر مكوّنة من غرفة تتراوح مسطحها ما بين أربعة أمتار وسبعين مترا مربع، وارتفاعها ما بين متر وثلاثة أمتار ونصف، وهي أشكال مختلفة، للمزيد ينظر: تولى محمد حسن، تاريخ العمارة (في عصور ما قبل التاريخ)، قسم العمارة وعلوم البناء، جامعة الملك سعود، ب ت، ص 22 وينظر: محمد صغير غانم، معالم التواجد الفينيقي- البوني في الجزائر، دار الهدى، الجزائر، 2003، ص 36.

(49)- الناضوري رشيد (1976)، المرجع السابق، ص 128-133.

(50)- حافظ صلاح الدين، المرجع السابق، ص 14-15، كما نجد هناك تأثير سامي بين العبادات المصرية وخاصة التماثيل منها الزخارف المعمارية والصناعية. للمزيد ينظر: رحمانى بلقاسم، حروفش مدني، الدور المصري في جنوب شبه الجزيرة العربية والشرق الإفريقي، مراجعة: الناضوري سيد أحمد علي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1997، ص 91.

(51)- الخطيب محمد، المرجع السابق، ص 10-11.

(52)-Alexandre(M), Histoire de l'orient "T1", préhistoire IV et III millénaires (Egypte- Elam – Sumer – Akkad – Babylone), presses universitaires de France ,Paris ,1941, P272